دروس من ثورة

يمن الإيمان والحكمة

بقلم

الشيخ حسام عبد الرؤوف



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين؛

من بين ثورات ما يُسمَّى بـ"الربيع العربي" برزت الثورة اليمنية بالزخم والتواصل والإصرار على تحقيق المطالب، فلم تنقطع حبالها، وتتفرَّغ لاجترار ما تحقَّق، وتستسلم للمخطَّط الذي تريده قوى "المركز" بقيادة الولايات المتحدة لإدخال الشعوب المنتفضة في دوَّامةٍ وحشرها في ركنٍ لا تجد أمامها فيه مفرًّا من الانسياق وراء الخطوات التي تحدِّدها إمَّا قيادة المجلس الثوري الانتقالي –وهم صنيعة الغرب والبديل الأسوأ–، أو قيادة الجيش التي لا زالت تمسك بزمام الأمور بسبب الضبابيَّة التي تحيط بها والهالة التي افتُعلت حولها، فحوَّلتها من أداة قمع وتوطيد أركان النظام البائد فارتكب كل جرائمه، إلى صمام الأمان والحافظة للأمن ومقدَّرات وممتلكات الأمة!!

ولهذا وجدنا أنَّ أول ثورتين اشتعلتا في المنطقة وكانتا الشعلة التي أوقدت نيران بقيَّة الثورات –ونعني بهما في تونس ومصر– قد دخلتا في نفقٍ مظلمٍ ولم تتخطَّيا مرحلة "ارحل" –أي التخلص من رأس النظام فقط–، ثم استسلمتا لما يُملَى عليهما من قرارات، والسير في خطوات لا تغيِّر في واقع الأمر شيئًا، بل ربما زادت الأمر صعوبةً وتعقيدًا، ولعلها قد تدفع الشعبين إلى الكفر بما يسمى بـ"الأحزاب الإسلامية المعتدلة" التي ارتضت بالخوض في لعبة الديمقراطية والانتخابات النيابيَّة، بل ربما بالكفر بحاكمية الإسلام وصلاحيَّته لتأمين الحياة الحرة الكريمة الآمنة لهم في الزمن المعاصر، وذلك حين تصحو تلك الشعوب على الحقيقة المُرَّة بأنَّها قد سلَّمت الراية لمن لا يقدر على تحقيق أي شيء من مطالبها، وأنَّ تولِّي هؤلاء للسلطة لم يزد شعوبهم إلا رهقًا، والأمور إلا تعقيدًا.

ولقد سبق للنظام اليمني -بالذات- أن أعطى للشعوب العربية دروسًا في عدم الاعتماد على الأحزاب الإسلامية الرسمية أو الراغبة في انتهاج الأساليب السلمية الديمقراطية، واستغل أتباع تلك الأحزاب كمطيَّة لتحقيق أهدافه والسيطرة الكاملة على اليمن بشماله وجنوبه، وعلى السلطة دون منازع، وذلك عندما سمح للتجمع اليمني للإصلاح وبقيَّة الأحزاب التي على شاكلته، بخوض الانتخابات البرلمانية والحصول على زعامة المجلس النيابي وعدد كبير من المقاعد، وتكليف قادة التجمع بتولِّي مناصب وزارية فاشلة -غير سياديَّة أو شبه سياديَّة- خاصة التي لها علاقة مباشرة بالجماهير، واتباع سياسة قبض اليد عن تلك الوزارات، وبالتالي حدوث الاصطدام المباشر بين الجماهير وقيادات تلك الوزارات، ومن ثمَّ ظل التجمع اليمني يتراجع في القوة وعدد المقاعد من انتخابات لأخرى حتى فقد كلَّ قوته، وهيمن حزب الرئيس وأفراد أسرته وقبيلته والمقرَّبين منه في المقابل على كل مقاليد السلطة السياسية والاقتصادية والإعلامية والقضائية والعسكرية والأمنية، وهو ما يدفع الشعب اليمني المسلم ثمنه غاليًا الآن.

ولقد سبق الشعب اليمني المسلم -رغم انخفاض نسبة التعليم بين سكانه وارتفاع نسبة الفقر والجوع بينهم، إذا قورن ببقيَّة الشعوب العربية الثائرة، وافتقاد معظم المتطلبات الأساسية للحياة اليومية- سبق الشعبين التونسي والمصري وقطع شوطًا كبيرًا من مرحلة "إسقاط النظام" ومرحلة متقدِّمة من "إسقاط الهيمنة"، نتيجة تضامن القوى الاجتماعية الفاعلة والنقابات والطلبة والمؤسسات الحكومية وشبه الحكومية مع شباب الثورة في الميادين، وبدأوا في حملة تطهير لمعظم مؤسسات الدولة من العناصر الفاسدة الموالية لعلي عبد الله صالح، والآن يضغطون بكل قوة لإزالة رموز النظام السابق وأقارب الرئيس المخلوع من القيادة في مختلف أفرع الدولة، والمطالبة بإعادة هيكلة أجهزة الأمن والجيش للتخلُّص من هؤلاء جميعًا، والمؤشرات تدلُّ على نجاحهم في نهاية المطاف بإذن الله، ولكن ذلك يتطلَّب اليقظة لمواجهة

ألاعيب الإدارة الجديدة، والإصرار على الضغط الشعبي من خلال الميادين، وفي كل المصالح الحكوميَّة والتعليميَّة والصحيَّة والنقابات وغيرها.

وبهذه المناسبة نقول للمدعو عبد ربه منصور هادي "الرئيس المزعوم"، أمسك عليك لسانك، ولا تتقمص شخصية الأسد الذي يزأر ويزمجر بعد أن كنت قبل أيام معدودة فأرًا، فالكرسي أوسع عليك بكثير، والقاعدة "قاعدة" على قلبك وقلوب من وضعوك في هذا المكان –بإذن الله–، ولئن كان سلفك –رغم ما كان فيه، ورغم الدعم العالمي له في مواجهة القاعدة– قد فشلوا وارتدوا على أعقابهم خاسرين، فهل تستطيع أنت بعد أن صار نظامك المتهالك مهيض الجناح أن تُوقف الزحف الإسلامي القادم في اليمن؟! هيهات هيهات.. فالله سبحانه وتعالى لكم بالمرصاد، ومتمُّ نوره وناصر أوليائه.

ولئن كان علي عبد الله صالح قد عاد مجبورًا من الولايات المتحدة لأنَّه صار كالأجرب الذي ينفر منه كلُّ الناس، وتنكَّبت له الأرض رغم كل محاولاته المستميتة للتشبُّث بالسلطة أو الخروج منها بشكل مشرِّف أو ضمان عدم المساءلة لإنقاذ نفسه وعائلته وأقاربه وأرباب نظامه، ولكن الله أراد أن يذلَّه في الدنيا قبل أن ينال جزاءه الذي يستحقه في الآخرة، وسيبقى يتجرَّع الحسرات على ضياع جهوده طوال أكثر من ثلاثة عقود في خدمة أسياده وخيانة أمَّته من أجل الحفاظ على الكرسيّ وتوريثه لخليفته المرضيّ ثم ذهب كل ذلك هباءً منثورًا.

ولقد اضطرت الولايات المتحدة إلى إجباره على التنازل عن السلطة والعودة لليمن حتى لا تقطع الحبال بينها وبين الشعب اليمني، ليلقَى مصيره الذي يستحقه: إمَّا القتل ليلحق بالقذافي في سقر –بإذن الله–، أو المحاكمة والدخول في قفص الاتهام ممدَّدًا على السرير بدعوى الحالة الصحية كما يحدث مع فرعون مصر الحديث، ولن تشفع له عندها لا الولايات المتحدة ولا بريطانيا ولا الاتحاد الأوروبي ولا حكَّام الخليج الذين حاولوا إنقاذه بمبادرتهم المشئومة إلا أنَّها كانت القاضية عليه إن شاء الله، فقد تنازل طوعًا وكرهًا عن عرشه ظنًّا منه أنَّهم سينفعونه ويلتزمون بحمايته وإيوائه ليستمتع بقية عمره بالأموال الحرام التي نهبها

من الشعب اليمني، وهي –كالمعتاد– بعشرات المليارات، رغم أن الشعب اليمني من أفقر شعوب العالم! وعندما يموت أو يُقتَل فلن يدفن في المسجد الذي بناه باسمه وكلَّفه أكثر من ستين مليون دولار، وإنما سيُرمى –كما فُعل مع القذافي– في مقبرةٍ سرِّيَّةٍ مجهولةٍ منسيَّة، أو في مقبرةٍ علنيَّةٍ ليُرجم قبره كما يرجم قبر أبي رغال، وهذا هو جزاء الخونة والعملاء على مرِّ التاريخ.

ولعلَّ ما يحدث في اليمن يكون فرصة سانحة أخيرة لخَدَمِه وحاشيته والمنتفعين من عهده المشئوم أن يثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربِّهم، ويعترفوا بذنوبهم وجرائمهم، والعودة إلى جادَّة الصواب، والاندراج تحت قيادة الشباب الثائر لإعادة الشعب اليمني الكريم إلى الحياة والعزَّة والكفاية التي يستحقها بعد تلك التضحيَّات الغالية، والحذر من أن يكونوا كمن قال الله عز وجل فيهم: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا}، ويصرُّون على السباحة ضدَّ التيار الهادر الذي سيقتلع ويجرف جميع المفسدين بإذن ربِّ العالمين.

وفي المقابل؛ فإن أكثر ما يثير الإعجاب والتقدير لشباب ورجال اليمن هو ذلك الانضباط الذي التزموه منذ بداية الثورة وحتى الآن مع أنَّهم بالملايين، فرغم امتلاكهم للسلاح، والشدائد التي واجهوها، والاستفزازات المستمرة من عملاء النظام الطاغي وقوات الردة، والتي أسقطت منهم مئات الشهداء، رغم كل ذلك لم يخرجوا عن طورهم فيسفكوا الدم الحرام أو يعتدوا على الأعراض أو يسعون بالإفساد؛ فيدمروا الممتلكات والمنشآت العامة والخاصة! ومع أنَّنا نحيي فيهم هذه الروح ونشدُّ على أيديهم وندعو لهم، إلا أنَّنا نذكرهم أن الحكمة وضبط النفس والدعوة للتآلف ومراعاة القبلية والمصلحة العامة كلها أمور مطلوبة وواجبة، ولكن بشروط أهمها ألا تُنتهَك حرمات الله من أعداء الدين ونكتفي بالتظاهر والاعتصام أو بـ"الغضب العاقل" لا "الغضب المتهور" كما قاله شيخ مرجئة هذا الزمان، وألا يطغى الظلم والفساد من أيِّ جهة كانت، وألا يتوارى أنصار الحق وينتفش الباطل، وأن يكون

تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هو غاية ثورتهم لأنَّها مفتاح السعادة في الدارين، والحامية للحقوق والضامنة للحرية والعدالة.

والنقطة المطلوبة على وجه السرعة هي حسن اختيار ممثِّليهم والمتحدثين باسمهم، وتوحيد الصف، والاتفاق على قيادة واعية مخلصة لدينها وأمَّتها وعلى كلمة سواء تجاه كل القضايا التي أعلنوا من البداية أنَّها من أهداف ثورتهم المجيدة، وعدم تكرار ما حدث في مصر –خصوصًا– حيث فقد الشباب الثائر قدرته على تحريك الجماهير بسبب عدم ظهور قيادة موحَّدة واعية صلبة للتفاوض باسمهم وفرض مطالبهم، وبعد أن نجح المجلس العسكري الحاكم في الفصل بينهم وبين القاعدة العريضة من الجماهير تحت ضغط الأزمة الاقتصادية والأمنية المتعمدة، وفي نفس الوقت اتباع سياسة "العصا والجزرة" معهم، فمن أراد منهم خدمة الشعب فعليه باتباع السبل السلمية والديمقراطية المزعومة، ومن تعدَّى ذلك ولجأ للتظاهر والاعتصامات فالضرب بالقنابل المسيلة للدموع والمطاطية والرصاص الحي ثم إلقاء اللوم على الشباب في تدهور الأحداث وسقوط القتلى والجرحى، أو إلقاء التبعة من قِبَل المجلس العسكري والأجهزة الأمنية كلٌّ على الآخر، والخاسر هم الشباب وثورتهم، بل الشعب المصري الذي دفع الثمن غاليًا –ولا يزال–.

<u>الخلاصة</u>: المطلوب هو الاستمرار في الضغط الشبابي والجماهيري لاستكمال مرحلة "إسقاط الهيمنة" للنظام البائد، وهو جهد يتطلَّب تضافر جهود الشعب اليمني؛ خاصَّة القوى الجهادية؛ التي أقدمت حين أعرض الناس، وضحَّت بدمائها وقادتها ودنياها حين أحجم الناس، فهم أولى الناس بقيادة الرَّكب، وتصحيح المسار، وتوحيد الصفوف، والصَّدع بكلمة الحق مهما كانت التبعات والتحديَّات، فعليهم الالتحام بالجماهير وأن يكونوا نبض أفئدتهم، ومن أبرز المتحدثين باسمهم، وأن يجلو حقيقة دعوتهم وجهادهم لعامة الناس حتى لا ينجح أرباب النظام البائد وسدنة هيكل الديمقراطية المزعومة من زرع الشقاق بين الفريقين، ودق إسفين بينهما، فكلا الطرفين مكمِّلٌ للآخر، ولا غنى له عنه. فالنظام الحالي لن يسقط إلا

بالتلاحم بين جميع فئات الشعب والضغط الجماهيري في الميدان من ناحية، ومن ناحية أخرى الضغط الجهادي المتواصل والمتصاعد، لإجبار فلول النظام من العسكريِّين والأمنيِّين من النفاد بجلودهم، والانسلاخ من الخدمة لأنَّ حياتهم أعزُّ عندهم وأغلى من الراتب والدفاع عن نظام يعلمون هم قبل غيرهم، مدى تجبُّره وتسلُّطه وفساده وردَّته وعمالته.

والله غالب على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.



www.nokbah.com